ومثلما أحاولُ معه ذلك أُحاولُ معَها

فأنا أطلُبُ منها: كَأنْ أَخْطفَ حُباً أو ربحاً ما وأُغادر.

ولكنْ بيدٍ مُلوّحةٍ بأسفٍ يَسْتَقبِلُني ورَقي

وأمامي على بياضه تحضُرُ مدينتي المكتظَّةُ وفراغُهُ الثَّر

ويبدآن: أحدُهما يمحو الآخرْ

فيعودُ البياضُ مفتوحاً صامتاً مرةً ثانيهْ

ولكنه لا يدفعُني إلى تصريحْ

ولا أنا عازمٌ على الإدلاء بما أُريدْ.

فهل أمسحُ يديَ بجَنْبَيَّ وأُولّي؟

وهل أجدُ بعد إزاحةِ الهَباء بالهباء تعويضاً

يعطيني وأُعطيه

كالحُب مثلا وأنا فيه المحبوب

كالربْح مثلاً وأنا الخاسرُ دوماً؟

– ٦ –

وبقيتُ كمنْ يُعدِّلُ من وَضْعِ المرآة المائلة أمامَهْ

أعدلُ من وضْع نفسي وأضعُها قبالتي

وكمنتظرٍ إيعازاً ما أُتابعُ عَبْرَها

تهديدا لا يُحسنُهُ إلاّيَ

يقصُ أجنحتَها بلا حيطَهْ

وهذا كثيراً ما يحدُثُ كلّما احتفيتُ بفرحٍ عارِضْ

فتَقبَلُ ريحٌ تذرعُ غُرفتي

وتبدأ تكنسُ حُطامَ زُجاجٍ مُتراكم

لدوارق صبري المُحطَّمهْ

وعادة لا يُشاركني أحدٌ هذا المشهد

وقدر استطاعتي لا أفكِّرُ أمُدُّ يداً

فأنا تأكدتُ أنَّ كلَّ الأيدي

تصبحُ في هذه اللحظاتِ قصيرةً جداً.

بغداد

تحــــــولات الـرمـل

مجيد الموسوي

١ ـ الجواد الذهبي

ـ أ ـ

على صهوة جوادي، أعْبر مفازة الأبد

هائماً: كروح، كقديس، كمجنون،

إلى مدن الغربة والشهوة والغوايات.

أعْبر مفازة الخوف، والخرافة

إلى الأبلق الفرد: حيث الطمأنينةُ

التي تشبه المكيدة،

والنومُ المثخن بالكوابيس

وحيث راياتي مرصعةٌ بالانكسارات

ورماحي مركونةٌ كالجثث

فما دمّون غير حلم

وما عنيزة غير طيف

وما دارة جلجل غير مدينةٍ معلقةٍ في الهواء!

فيا صاحبي الذي يغالبه حزنُ الديار

لا تغنّ إلا أغاني الشجن

ولا تذرفْ إلا دمعَ الفجيعة

ولا تنادِ إلا الأرواحَ الهائمةَ في الوهاد

فغداً تلوح قبابُ القسطنطينية: ساطعةً بالكبرياء والشماتة.

ـ ب ـ

على صهوة الجواد أَدْخُلُ غسقَ الصحراء

متعلقاً بأذيالِ نجومٍ نحيلة

تقطر شعيعاتٍ كالدمع

منجردا من سيفي، ومن ردائي المزنَّر
بشارات كندة الملكية
فتكسوني الغيماتُ الغسقيةُ
أوشحةَ، كاليحموم
ويعبث بي أفقُ الرمل الأرمد،
الشحيح، المترهل.
وتسخر مني السماءُ المترفعةُ،
الشاسعةُ، القاصية.
فيا صاحبي الذي تغالبه وحشةُ
الديار
لا تغنَ إلا أغاني الندم
ولا تذرفْ إلا دمعَ الخيبة
ولا تنادِ إلا الفراغ
فغدا تفتح لنا بوابة القسطنطينية
كفم السعلاة
لنتحول في جوفها إلى حجر!

ـ ج ـ

على صهوة جوادي الجميل:
أعبر أيامي المترعةَ بغواية الشعر
ولذائذ مواعيد العشاق
ودفء المعانقات التي تؤجّجها
الصبواتُ والترف
إلى ليالي السهد والضلالات
والأكاذيب
والنهارات التي تغصّ بالمكائد
والتواطؤات
والأوقات التي تجرحني ببراثن المرارة
والقنوط.
فما دمّون غير سراب
وما عنيزة غير وهم
وما دارة جلجل غير مسيل من
حجارة صماء!
فيا صاحبي الذي يغالبه فراق
الديار:
لا تغنَّ إلا أغاني الوداع
ولا تذرفْ إلا دمعَ الغياب
ولا تنادِ إلا الرموس.
فغداً نسير على أرض القسطنطينية
كما لو كنا نسير على جمرات!

٢ ـ القسطنطينية

أيتها القسطنطينية العجوز: ما أنتِ
إلا مكيدة.
فيكِ أيامي تحولتْ إلى شمع:
باردةً وبلا بريق،
والآمالُ الكبرى التي حملتها
كالبيارق
مَزَّقَتْها رياحُ التواطؤات والأحابيل.

[أستيقظُ عند الفجر، حزيناً،
أرقبُ وجهَ البحر الأبيض
مبتلاً وهو يلامس أقدامَ القلعة،
تأخذني سنة
فأرى وجهَ عنيزة مبتلاً بالرمل
وبالنسيان...]

وفي فراشي ما زالت رائحةُ عري
ابنة القيصر تتخثر
على أديم الطنافس، ألمسها كالظلّ
فتموء متلذذةً:
من أيّ بلادٍ مشمسةٍ قدمتَ يا
مليكي!
ـ على تخوم انطاكية نفقَ جوادي
وعلى سواحل مرمرة مات صاحبي
وها أنا أترنح منذ سنوات ثلاث
بين مواعيد القيصر الكاذبة وعري
ابنته الباذخ!
[أُسلم ذاكرتي للبحر
وألهو بالعري الباذخ بين يدي
ـ لماذا يبدو مولاي حزيناً؟
تدنو مني وتقبّل صدري،
تُسكرني رائحةُ العري البيزنطي
قليلاً]
فيعاودني الإحساس الوبيل
بالشجن، ويهبط
على روحي ذلك الغمّ المبرح،
القديم.

[في كل مساء تأتي ماريا، عاريةَ
القدمين
تنادمني أحزاني وغواياتي، وتحاول
أن تمسح
عن روحي الحزنَ، وتمنحني فرحَ
الأيام،

وتنسيني دارة جلجل، امنحني يا
مولاي
النعمة من كفيك، وطوّقْني بحنو
إله الصحراء،
واشعل في أنوثة نفسي، مولاي أنا
جارية
بين يديك فخذني تحت خبائك..
تأخذني
سنة وأنا أملكها بين يدي، أرى وجه
عنيزة
مبتلا بالدمع وبالنسيان!
لماذا يبدو مولاي حزيناً؟]

على تخوم انطاكية نفق الجوادُ
الذهبي
ومات صاحبي الذي أحب في المنفى
وصرتَ في السنوات الثلاث
الأخيرة أترنح بين أكاذيب القيصر
وعري ابنته السابغ

فيا أيتها القسطنطينية الماكرة: ما
أنت إلا كذبة!
[أستيقظ عند الفجر، وحيداً، ما
عادت ماريا
تأتيني عارية القدمين، أراقب وجه
البحر الصاخب
محتدما. ينهش أقدام القلعة، ما
عادت ماريا
تأتيني، هل أغرقها البحرُ، أم
انتحرتْ برداء
الموت البيزنطي (بأمر القيصر!)،
ما أوحش روحي!
ما أوحش هذي القلعة! ما أوحش
هذي القسطنطينية!
تأخذني سنة فأرى وجه عنيزة مبتلاً
بالشوق
وبالدفء
أعانقه
وأواصل
نومي...]

٣ ـ شاهدة على قبر

[وفي تلة قرب حمص
توقّف ركبُ الجنود
ونادى منادٍ: أنيخوا!
وطوّقنا الليل...

هذا، إذن، آخر المنتأى
قلت ـ آخر هذا الرحيل!
وقد آن لي أن أقول لهذا الفؤاد
العليل
ترجّلْ، وهذي الجراح اهدئي
وأقول:
هنا ـ أيها الركب ـ مثواي!
أول أرضي
وآخر
هذا
الطواف
الطويل...!]

البصرة